رحله عالميه

رحال منسى فى بلاده مشهور فى العالم

كيف تجمع العالم فى مكان صغير ؟

عصمت شاهين دوسكى

المجتمع الكردى مجتمع مؤلف من جماليات وتناقضات متغايرة مع وجود فوارق ثقافية عميقة بين منطقة واخرى بل وجود فوارق داخل المنطقة الواحدة نفسها وفي نفس الوقت وجهات ثقافية كثيرة .تعتبر من السمات المشتركة وهي نتاج تفاعل اجتماعي عرضة للتغيير بين وقت واخر بفعل نشاط سياسي وقد يكون المثقف الكردى يبحث عن الهوية الذاتية التي تسعى الى السمو والارتقاء في المجتمع وقد يبحث عن قاعدة جماهيرية تعينه على تغيير ما هو سلبي وترسيخ الاحساس بالمصير والوجود بشكل راقى وبينها تتجلى منافسة مريرة بين المفكرين والادباء الاصلاء الواقعيين الذين يحملون رسالة انسانية ومن خلالها بناء الارض والانسان وبين من يسخرون اقلامهم وشخصيتهم لفئة معينة للبقاء على الكرسي اطول فترة ممكنة واكثر ربحا . هذا الانقسام الفكري بعد ولادة طرية اجتماعية وثقافية تجعل التميز بينهما ظاهرا رغم وجود حجابات واغطية مرقعة . تتوفر بينهم تقديرات من الجانبين بدراية لكل ما يجري على الساحة الأدبية والثقافية , كل دولة بمفهومها العام لا ترتقي ولا تتقدم ولا تتطور الا بعلمائها ومفكرها وادبائها واي دولة تهمل أو تتخلى عنهم ستكون دولة ومجتمع ضعيف تتكالب عليه دول اخرى كون هذه المجتمعات لا تتمكن من ادارة نفسها بالصورة السليمة خاصة ان كانت دول

ومجتمعات غنية بالثروات المختلفة , فلا بد من الاهتمام السياسي والثقافي لشريحة الابداء والمفكرين والعلماء كونهم واجهة انسانية لحضارة مدنية معاصرة .

في دهوك عروسة كوردستان عروسة الجبال والينابيع والبساتين عروسة الحب والجمال ، كنت وحيدا أتأمل من الطابق العاشر لشقق دابين الأولى مناظر جبال دهوك الجميلة ومعالمها التي تقابل نظر عيني جبل سينا شندوخا وحي الملايين ومالطا وكري باصى واذا برنة هاتف من الرحال المنسي في بلاده والمشهور في العالم الاديب المغترب في النمسا بدل رفو توعدنا والتقينا في مقهى شعبي قديم ، قد يكون من النادر أن تجد مكانا ترتاح فيه بعيدا عن الضوضاء والمظاهر الصاخبة في زمن اصبح بعض الناس يعتنق المظاهر كرباط العنق لبدلة جميلة وقلادة ذهب بعيدون عن الجوهر الراقى في الفكر والنفس الانسانية ، اتجهنا أنا وبدل رفو الرحال في عصر كاد يرحل عنه الاصاله والقيمة الفكرية الا ما رحم ربي ، ونسيان الانسان بين غرية وهجرة وخراب ودمار ونزوح وحروب فكرية وجسدية متراكمة بدلا من الارتقاء الانساني اصبح الظاهر تدمير الانسان فكريا ثم تتوالى الجوانب الاخرى ،ومن اسواق دهوك الشبه خالية كانها مدينة من كوكب اخر حيث الصمت والهدوء اغلب المحلات والاسواق مقفلة ، انه يوم نوروز يوم جديد الذي يجمع الناس في السفرات ومناطق اخرى ولكي نكون واضحين في فهم نوروز هو يوم جديد للحياة للإبداع للفكر لعمل شيء جديد لتطوير وخلق شيء جديد لتقديم شيء جديد حتى لو كان اضعف الايمان زراعة سنبله شجرة وردة كلمة طيبة واكبرها ما هو عظيم للبلد والمجتمع وللانسانية عامة في مجال الصناعة المتطورة والانتاج الراقى في الاطر الانسانية يكون نوروز نوروزا حقيقيا ، ومشينا نتذكر الماضي وناقش الحاضر فكريا وادبيا واجتماعيا ومن حديث ذو شجون الى حديث اخر وصلنا الى كراج بروشكي للنقل الداخلي لنجده هو الاخر ساحة خالية لكن صدفة مرت سيارة نقل كوستر وبأسلوب بدل الجميل وافق السائق رغم عدم وجود اي شخص غيرنا وطول الطريق لوحدنا لا احد يصعد ولا أحد ينزل وصلنا الى صناعة بروشكي ونزلنا بعد أن قدمنا شكرنا وتقديرنا للسائق أشر لي بدل بيده الى موقع شفته في اعلى سفح الجبل ونحن في بروشكى السفلى ، وبين السفلى والعليا صعود

قوي وبدأت رحلة الصعود ولا أخفي عليكم في كل صعود تثقل خطواتنا فنقف لحظة كمحطة استراحة وثلثت ورائنا لنرى ونتأمل مناظر دهوك الجميلة ثم نتابع السير الصعود الى أن وصلنا لشقة بدل رفو وكنت اظن كأى شقة كانت وفي نفس الوقت أتخيلها مميزة عن باقي الشقق السكنية وهكذا ادهشتني منذ بداية فتح باب الشقة رايت علم المكسيك الذي اهداه له فلاح مكسيكي اصطحب بدل رفو الى رحلة في كهوف الثورة المكسيكية والى كهف " زاباتا " الثائر في مدينة " تيبوسلان " الثائر المكسيكي الذي قاد الثورة المكسيكية ضد الظلم والجهل والفساد واشتهر " زاباتا " بعبارته المشهورة " الأرض لمن يزرعها " وفي الجانب الاخر من الجدار صورة " جيفارا " الثائر وهي مهداة من نجل جيفارا شخصيا " كاميلو " الذي التقى به بدل رفو ونشر تحقيقا حول لقائه حيث ابدى " كاميلو " استعداداه لزيارة كوردستان مع بدل رفو نتيجة السرد الساحر الذي سرده بدل رفو لكاملو ، ورأيت تحف من المكسيك وكازاغستان والهند ومنها تمثال الفيل النادر الذي يمثل رمز للهندوس وتحف محفورة على الخشب ولفت نظري سجادة مزركشة بالوان عديدة مشرقة في وسطها شكل فيل بالاضافة الى تحفة فيل من السيراميك وتلفون قديم نادر من المرمر اهدته له صحفية نمساوية وهناك مسبحة بعناقيدها معلقة من اشهر روحانية نمساوية في علم الارواح ايضا وجود الات ناي خشبية جميلة الصنع بدقتها وشكلها الجميل وانتهينا من ممر الشقة الى جناح خاص من التحف الاثرية الصغيرة والكبيرة الحجم من مختلف دول العالم وجناح خاص للاقداح النمساوية النادرة حيث كل قدها يجسد قصة انسانية وعشقية كذلك مجموعة من الزجاجيات باشكال وانواع مختلفة من جزيرة " مورانو " في البحر المتوسط بقرب جزيرة البندقية التي اشتهرت بصناعة الزجاجيات في القرن الثاني عشر مع هدايا من كازاغستان وايطاليا والمانيا ومصر والمغرب ودول اخرى ، وللشموع تأثير قوي على الاديب بدل رفو مجسدة باقداح ملونة مضيئة ، وبما ان بدل رفو اشتهر بعدة القاب في مسيرة حياته ورحلاته في دول العالم ومنها صقر كوردستان وجدت تحفة لصقر مطلق الجناح ، ولكونه من عمق تاريخ قرية شيخ حسن التي لا تخرج من خياله وواقعه الادبي والانساني كوطن صغير وجدت تحفة زير او ماء قديمة جدا وجدها ضمن التحف المنسية في القرية فاعتنى بها وجعل لها مكانا خاصا هكذا يهتم الاديباء

بجنورهم وتراثهم وتاريخهم وموروثهم مهما كان صغيرا أو كبيرا وعلى الجدران رايت صور جدارية ولوحات راقية لجزيرة " بورانو " في ايطاليا التي مشى في ازقتها وقرب بحارها ولن ينسى بدل رفو اصدقائه القدامى في باطن الكتب فجهز لها مكتبة جميلة جدا ببساطتها وضع على رفوفها مختلف الكتب الكردية والعربية والعالمية منذ نهاية السبعينات ولحد الان وبين يدي كان أول كتاب اقتناه من شارع النجفي في الموصل كتاب " مهاتما غاندي " الذي تآثر به وتآثر بشعراء الانسانية امثال " بابلو نيرودا – رسول حمزاتوف – لوركا " وغيرهم وكتب مهداة من مؤلفيها مثل الدكتورة حياة شرارة وجيل جمال الدين وجرجيس فتح الله وغيرهم من المفكرين والادباء بعد أن اطلعت عليها وجدتها مكتبة فكرية اجتماعية انسانية ، حتى فيها مكان خاص لسيدات موسيقى من انحاء العالم النمساوية والمكسيكية والاطالية والكازاغستانية والالمانية والمغربية والمصرية وغيرها كما اني وجدت تحفة فنية مصرية تجسد سوق الخليلي عبارة عن عملية الطرق على المعدن ولوحات فنية تشكيلية للفنان " لكوستان كليمنت " كما كانت بين يدي صخرة مرسوم عليها صورة الاديب بدل رفو من فنانة نمساوية ، هكذا تمكن ان يجمع العالم في مكان صغير ، قدر ان يكون سندباد كوردستان بدل رفو جسرا ثقافيا بين النمسا ودول اوربا والعالم وبين كوردستان ، وحتى في لقاء رئيس الوزراء النمساوي " كيرت " قال له " يسعدني أن نعمل جميعا من اجل نمسا وكوردستان ونحن فخورون بوجودك معنا " وهذا يجسد اهتمام الدول المتقدمة كنمسا التي تحتضن بدل رفو ودول اخرى طلبت منه البقاء فيها عكس البلاد الاخرى القريبة منه التي ابي ان ينحني أو يركع لأي فئة أو شخص فهو يضع كوردستان فوق العناوين وظل وسيظل وفيا لكوردستان وفيا لقضيته لرسالته الادبية لشعبه وبلاده رغم شعوره بالاقصاء والتهميش كحال الكثيرين من العلماء والمفكرين والادباء ، لايمكن أن نحصي المدن التي زارها بدل رفو حتى الطاولة التي اكتب عليها مختلف الهدايا والتحفيات الصغيرة من المدن التي زارها وكتب عنها ، ان شقته تعتبر تحفة فكرية فنية تجمع دول العالم ليس هذا فقط بل في كل دولة يحمل قضية شعبه وكوردستان وتعد المجموعات التحفية حالة نادرة في العصر الحديث وبهذا يعد اول رحال قدر ان يجلب العالم من خلال تحفه الى مدينة دهوك بجهد الخالص بلا دعم من اي مؤسسة

رسمية او اهلية وقال لي بحصرة مؤلمة " الفترة التي امضيتها اكثر من ربع قرن في ترجمة الادب في المهجر ورحلاتي الثقافية اخذت مني كل عمري وجهدي وغرقتي رغم الم التهميش والنسيان من البعض أنا سعيد " امضى بدل رفو اكثر من احدى عشر عاما في نقل مشاهداته عن دول العالم الى بلاده من خلال مجلة الصوت الاخر والتاخي والزمان وعدة صحف ومجلات عربية وعالمية واشير هنا ان مقهى " شدا " الثقافي في دهوك والذي يقيم امسيات ثقافية وادبية علقت صورة الاديب بدل رفو تكريما له من شباب دهوك بالرغم من تنكر الكثيرين لجهوده وكذلك اقيم لبدل رفو عام 2010 م أول مهرجان شعبي تكريمي اقامه واشرخ عليه الشعب لمبديعه في جامعة دهوك واتمنى ان تتكرر ويستمر التكريم الشعبي لكافة الادباء المبدعين في جميع المجالات فهي رؤية حضارية راقية جديرة بالاهتمام والتقدير مثل الرحال بدل رفو وغيره يجب ان تعنتي بهم المؤسسات الثقافية بكافة صنوفها فما دور المؤسسة الثقافية في اي بلد ان لم تهتم بثقافة الانسان ؟ وعلى جميع الجهات المسؤولة الاهتمام بالمفكرين والعلماء والادباء فهم منارات وشواهد مشرقة لأي بلد راقى ، يبقون راسخون في عقول الاجيال المتعاقبة ، نحو حضارة مدنية معاصرة تبقى متجددة بالفكر والعدل والحياة .